Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كثير من مقالاتها مكتوب بكيفية خطابية وهي كيفية فعالة. غير أنها في خطبها تتبع خطة المحدث البسيط لأنَّ خطبها لم تكن في الواقع إلا محاضرات، وهذه تشغل الدرجة الواقعة بين الحديث المألوف والخطابة الصرفة. وقد تركت بعض المنظومات لأنها كانت تحبُّ الكلام الموزون، وكل ما نثرت موزونٌ منسَّق. ولا أعرف في كلّ ما كتبت نبذة أبدع من هذه التي تبدو فيها مقدرة مزدوجة كتابية وخطابية يختلط بها شيءٌ من الشجن الشعري وكآبة المرأة الغزيرة العواطف الدامية الشعور:

«يصبونه (الماء) فينصب ويرتقونه. فيختفي في الأرض ويضعونه في كلّ آنية معوجة وملونة فيأخذ كل شكل ويصطبغ بكل ما يراد به من الألوان. تبخره الطبيعة زارية هازئة فتارة ترفعه إلى السحاب وطوراً تقذف به إلى الأرض وآنة تعاكسه بصقيعها فيتحول برداً وآونة تحمي عليه براكينها فيخرج ملتهباً. وحيناً تخبث رائحته بكبريتها وزرنيخها فيلعنه الناس إذا أحسوا منه غير ما يريدون وهو بريء، ثم أليس هو رمز الطاعة والامتثال يضعون فيه سُكراً فيحلو ويذيبون به الحنظل فيمر. وهم مع ذلك لا يقيمون له وزناً ولا يعترفون له بجميل. وهو بلا ثمن في أكثر بقاع الأرض وأرخص الأشياء في أقلها. إنه مثلي يا ميّ يذهب ضياعاً»[1] !

ما أوجع هذه الكلمة وأوجع المرارة التي أملتها ! لقد فعل الحزن هنا ما يفعله في كل نفس صالحة فكان اليد المنبهة الخصب الجانية الخيرات. إنَّ لهف أيام ولواعج عمرٍ انتجت أبحاثاً قليلة ولكنها فريدة من نوعها في الآداب العربية. وسنقف على زبدة هذه الأبحاث في الفصلين المقبلين إذ نعالج الباحثة ناقدةً ومصلحة فنجد ثمة أكثر الآراء تعقلاً ورزانة. لو لم يكن للحزن من منفعةٍ سوى انتباه ضحيتهِ إلى ضرورة الإصلاح وعثورها على مواطن الضعف والسقام من بيئتها، ولو لم يكن له من منفعة سوى تمزيق

(١) «بين كاتبتين» نشرت في المحروسة.